

إن الأمم لا تستغني بعد الآن عن الاتصال بينها وقد بطلت العادة التي كانت متبعة في القديم من تقسيم المملكة الواحدة إلى مئات من الأجزاء كل جزء يعتصم وراء جبله أو يختبئ في واديه ولا يعرف ما عند صاحبه وجاره. الأمم اليوم محتاجة إلى التعارف والاتجار فأبن اليمن لا يعيش إذا لم يبدل حاصلات بلاده مع ابن بافاريا مثلاً وابن بروسيا مضطر إلى الاتجار مع ابن انجر والبلغاري محتاج إلى الفارسي وهكذا جميع الشعوب والممالك فهل يطول يا ترى عهد إنشاء طرق المواصلات في مملكتنا مع جيراننا أم ننسى زمن السام ما احتجنا إليه أيام الحرب.

إمبراطورية النمسا وانجر

خلفت مملكة النمسا وانجر بموجب القرار الرئاسي الأساسي الذي نشر في ٢١ كانون الأول ١٨٦٧ مملكة النمسا القديمة فهي تتألف من مملكتين منضمتين تحت لواء واحد فإمبراطور النمسا هو أيضاً ملك انجر ولا اشتراك بين المملكتين في غير الجيش وجزء من المالية والأمور الخارجية ولكل مملكة منها قانونها الخاص وإدارتها الخاصة. يقسم بين بلاد النمسا وانجر نهر الليتا الذي يصب في نهر الطونة شرقي فينا. وولايتا البوستة والهرسك اللتان ضمتا إلى هذه المملكة سنة ١٩٠٨ مشتركتان بين النمسا وانجر.

كانت مساحة النمسا بموجب إحصاء سنة ١٩١٠ - ١٩٣، ٣٠٠ كيلو متراً مربعاً وسكانها ٨٩٨، ٥٦٧، ٢٨ ومساحة انجر ٣٢٥، ٣٢٥ كيلو متراً مربعاً ٨٥٠، ٧٠٠ ساكن. وأصول شعوب هذه المملكة متنوعة تنوع رسم جبالها وأقمارها وهم كالفسيفساء الجبلية منهم نحو ثلاثة عشر مليوناً ونصف من الألمان ونحو تسعة ملايين من انجر وثلاثة ملايين من الرومان وواحد وعشرين مليوناً من السلافيين وهم ينقسمون

بحسب لغاتهم إلى ستة أقسام فسلاف الشمال عبارة عن ثمانية ملايين وهم التشك والمورافيون والسولفاكيون يزلون في بوهيميا ومورافيا وفي الأصقاع المجاورة لبلاد النجر وفيها نحو أربعة ملايين ونصف بولوني في سيليسيتريا وغاليسيا الغربية ونحو أربعة ملايين روتيخي في غاليسيا الشرقية والأصقاع المتاخمة للبحر ثم سلافيو الجنوب ومنهم نحو ثلاثة ملايين ونصف خرواني وصربي ومليون وربع سلوفاني ونحو ثلاثة أرباع المليون إيطالي وثلاثة أرباع أهلها هم من الكاثوليك الرومانيين وخمسهم هم من الروم الكاثوليك أو الروم الشرقيين على اختلاف الطقوس وأربعة ملايين وربع من البروتستانت ومليونان ومئة ألف إسرائيلي وزهاء ستمائة ألف مسلم.

هذه هي الإمبراطورية التي فقدت مؤخراً إمبراطورها حليف الدولة العلية العثمانية وعيند ملوك الأرض فرانسوا جوزيف. توفي صباح ٢٢ تشرين الثاني سنة ١٩١٦ (٢٦ المحرم ١٣٣٥) عن ٨٦ عاماً كان بها إمبراطوراً ٦٨ عاماً فقد ولد في مدينة فيينا سنة ١٨٣٠ وهو ابن الإمبراطور فرانسوا الأول ولي الحكم سنة ١٨٤٨ وقد تنازل عن الملك عنه فرانسوا الأول وتنازل والده عن حقوقه في الملك فظهرت في السنة الأولى من ملكه خطوط مهمة وفتن مستطيرة منها ثورة فيينا التي قنعت على أصعب وجه وثار إيطاليا والنجر لتخلعا ربة الحكم النمساوي فكبح جهاج الثائرين من الإيطاليين ووطد الإمبراطور حكمه على النجر بمعاونة روسيا وانتهت حرب إيطاليا سنة ١٨٥٩ بتقليص ظل الحكم النمساوي عن لومبارديا الإيطالية مما أحدث في البلاد النمساوية سخطاً فرأى الإمبراطور أن يسكن ثائرة غضب أمته بمنحها دستور سنة ١٨٦١ وفيه إعطاء حرية مطلقة لها.

وحدثت من جهة بروسيا شجون أخرى بشأن مسألة دوجيتي شلشويك هو لشتماين فاتحدت بروسيا مع النمسا أواخر سنة ١٨٦٣ لإعلان الحرب على الدانيمرك وفي سنة ١٨٦٥ نشب الخلاف بين الحكومتين المتخالفتين الظافرتين فاتحدت بروسيا مع إيطاليا ودحرت النمسا في موقعة سادوفا (١٨٦٦) وانتهى ذلك بانفصال النمسا عن الاتحاد الجرمانى وبفقدتها إقليم البندقية.

وقد أعقب هذه الحرب المشؤمة إصلاحات جمة في داخل البلاد فأصبح الكونت دي بوست وهو ألماني سكسوني وزيراً للإمبراطورية النمسا والمجر وعهد إلى الكونت أندراسي في بلاد المجر أن يؤلف وزارة بحرية وفي ٨ حزيران ١٨٦٧ توج فرنسوا جوزيف ملكاً على المجر وكان فيها فاتحة الملوك الذين يتوجون ملوكاً على مملكتين وقد كان يتوقع أن يوجه الكونت دي بوست دفعة سياسة النمسا نحو سياسة الانتقام من بروسيا لكن هزيمة الفرنسيين أمام الألمان في حرب السبعين قلبت المسائل إلى طور آخر واضطر فرنسوا جوزيف أن يعاهد كلاً من بروسيا وإيطاليا اللتين ظفرتا به فظهرت المخالفة الثلاثية. ثم حدثت اضطرابات داخلية أخرى وهي نزوع التشيك في بوهيميا إلى الثورة يريدون أن ينالوا استقلالهم على نحو ما فعل المجر. وصبت مصائب أخرى على رأس الإمبراطور المتوفى من مثل مقتل أخيه مكسيميليان إمبراطور المكسيك عام ١٨٥٤ وانتحار الأرشيدوق رودولف ابنه (١٨٨٩) ومقتل الإمبراطورة اليزابيت زوجته (١٨٩٨) وكان مقتل ولي عهده الأرشيدوق فرانز وزوجته في سراجيفو بيد صربي غادر من الأسباب الظاهرية في اندلاع هيب الحرب العامة التي لا تزال ناصح في عجائبها ونمسي منذ ثلاثين شهراً منحت بلاد النمسا قانونها الأساسي سنة ١٨٤٨ وإذ كانت مختلفة

العناصر والجنسيات اضطرت الحكومة أن تستعيده منها مرات ثم تعطيه فكان نيل السلافيين على أكثرية عظمى في الانتخاب سبباً في دهشة الحكومة وظل الألمان في النمسا وانجر بمثابة الجزء القليل بالنسبة للجزء الكبير فدعت الحال أن يعدل القانون الأساسي الذي وضع لمثل هذه المملكة على صورة يتمثل فيها الدهاء والجريزة وإن معاملة النمساويين للسجريين هذه المعاملة الحسنة بعد الخلاف الشديد الذي استحكمت أواخيه بينهم زمناً قد دل على حسن سياسة النمسا ولا سيما الإمبراطور المتوفى فضت النمسا وانجر سنة ١٨٦٧ بأن تم الاتفاق بين هاتين للملكتين على أن يدفع انجر عن مملكة النمسا كما يدفعون عن مملكتهم (المقتبس م ٨ ص ٤٥٩) ويكونون مستقلين إلا في الجيش والبحرية والأمور الخارجية فيدفعون قسطاً صالحاً من المال لمعاونة حكومة فينا وتتعهد الأسرة المالكة النمساوية بالحفاظة على استقلال انجر وحرية البلاد واستعمال جميع قوة النمسا للدفاع عن سلامة الأملاك انجرية ملك النمسا يحكم انجر كما يحكم بلاده ولكنه يمثل مملكتين متباينتين ولا يكون ملك النمسا ملكاً شرعياً إلا إذا أقر على تنويجه مجلس نواب انجر ويقضي القانون الأساسي أن يقيم الملك ستة أشهر في فينا وستة أشهر في بودابست وهو يتلطف بالأمة انجرية كل التلطف وقد تعلم لساقم في صغره وخطبهم به قبل أن يتولى الملك فأعجبوا به وكثيراً ما كان ينس الثياب الوطنية الخاصة ببعض شعوبه مثل سكان التيرول وكان التيروليون والسالزبورغيون يحبونه حباً كثيراً وكذلك شعبه حتى كان يقال أن إمبراطورية النمسا تنداعى أركانها بعد موت الإمبراطور فرنسوا جوزيف وكان بعض الغربيين أنفسهم يدعون أن لطفه هو الذي يحول دون حدوث شيء في البلاد والحال أن أسرة هابسبورغ مشهورة بذوقها ولطفها منذ القديم وباتحاد

المملكتين حياتهما وقوقهما. من المصائب في مملكة في أن تتألف من عدة عناصر يصعب الجمع بينها لكن حكمة الإمبراطور ورجاله عدلت المسائل وثقفت الناشز وأخذت من عنان المغضب ودارت مع الزمن حتى اشتهرت النمسا بأنها مملكة حسن الإدارة وقد جاء زمن على حكومتها منعت فيه الصحف الجرية من الصدور بلسان الجر وعقبه زمن آخر أصبحت فيه حرية بلاد الجر كأحسن حرية في الشعوب الأوروبية.

كان الإمبراطور المتوفى عاملاً مهماً سعى في ترقية أمته حتى أصبحت بفضله دولة قوية الشكينة بعيدة الشوط في مضمار المدنية والصناعات وأبانت عن قوقها في جيشها وحسن إدارتها في الحرب الأخيرة وهي تقاتل الجيوش الروسية من الشرق والجيوش الإيطالية من الجنوب.

أما الإمبراطور الجديد فهو شارل ابن الأرشيدوق أوتو وأمه ماريا جوزيفا أميرة سكسونيا ولد سنة ١٨٨٧ فيكون عمره اليوم ٢٩ سنة وقد وعد برعاية القانون الأساسي في إدارة جميع الشعوب في بلاد النمسا والجر وجرى تنويجه في فينا وفي بودا عاصمة الجر الأصلية متبعاً في ذلك الأصول القديمة غير محل بشيء منها وكان الإمبراطور الجديد أثبت لياقته في حرب عدو بلاده هذه المرة وقد ربي تربية عسكرية راقية يرجي له بها أن تكون بلاده في عهده عهد سلام وراحة ورقي.

الخطابة عند الإفرنج

من تأمل في تاريخ الطرق الخطابية ير أن القدماء أفرطوا في فن الخطابة وأنه وإن صعب العثور على مبدأ معين في كتب الأقدمين وطريقتهم في خطاب الجمهور فإن جميع المصنفات التعليسية تحوي إهاماً خلطوا فيه بين علم الكتابة وعلم الكلام فإن علم الخطابة